التي اصدرتها لي دار النشر المنبثقة عن هذه المجلة في اوائل مطبوعاتها ، لا تزال آثر مجموعاتي القصصية على نفسي واشملها دلالة على اتجاهاتي الفنية والاجتماعية والسياسية . لهذا فليس من السهل لي ، ولا لكثير من ادباء العربية المعاصرين ممن تقرب علاقتهم بالآداب من علاقتي الشخصية بها ، ان افصل شخصيتي الادبية عن هذه المجلة التي تفاعلت معها خلال حقبة من الزمن تعد من احفل الفترات المعاصرة في تاريخ امتنا الفكري، وفي تاريخ امتنا من كل الجوانب .

واقول ادباء العربية المعاصرين لأني لا اريد ان اغفل قيمة مجلة الآداب كملتقى لاقلام الكتاب العرب على اختلاف اقطارهم ، ودورها في تعريف بعضهم ببعض . ولقد واكبت « الآداب » حركة الازدهار النشري التي جعلت من بيروت مركز اشعاع وهاج للثقافة المطبوعة في الكتب والدوريات بل انها كانت ،بصورة مباشرة عن طريق دار الآداب للنشر ، وبصورة غير مباشرة بتأثيرها كمجلة واسعة الانتشار ، كانت احدى القوى الدافعة في حركة الازدهار تلك . وكانت بهذا تلعب الدور الذي كان يريده العرب للبنان نفسه ، من كل النواحي : مجلة عربية بالصورة القومية المثالية تصدر في لبنان الذي يمثل نشاط العرب وحيويتهم وتحركهم الفعال .

كل هذه خواطر جالت في بالي حين تنبهت الى ان خمسة وعشرين عاما قد مرت منذ ظهر العدد الاول من مجلة الآداب . ومرت في بالي خواطر أخرى اجملتها في قولي ان ربع القرن هذا ، كما مضى بشطر من عمرنا وبشبابنا ، مضى بأمانينا الزاهرة . فأين نحن اليوم مما كنا عليه ، ومما كنا نؤمله ، قبل خمسة وعشرين عاما؟ هل اختصر ام افصل ؟ بحسبي ان اصف ما وقعت عليه عيني منذ اسابيع قليلة ، حين عدت الى بيروت في فترة هدوء عابرة ، فمررت فيها باحياء ما كان اكبر الفتي بها: حي الخندق الغميق ، وحي على السور بجانب العازارية، حيث كانت تحرر الآداب في أعدادها الاولى وحيث استقرت ادارتها في السنين الاخيرة .. لقد رايت الخراب والدمار وآثار النيران في الامكنة التي كانت مبعث الاشعاع الفكري والفني . كان ما رايته اطلال ابنية واطلال آمال واطلال القيم والمثل العليا .

... ولكن هذه هي رسالة الدكتور سهيل ادريس في يدي تنبئني ان من بين كل هذه الاطلال ترفع « الآداب » راسها لتقول لنا ان ارادة الحياة فيها لا تزال قوية، وانها ستصدر في عدد ممتاز في ذكرى انقضاء ربع قرن على وجودها . فهل لنا ان نعدها بشارة وفأل خير ؟

آمل ذلك . وتحيتي الى الآداب التي ترفع راسها من بين الانقاض متوثبة ،في عيدها الخامس والعشرين !

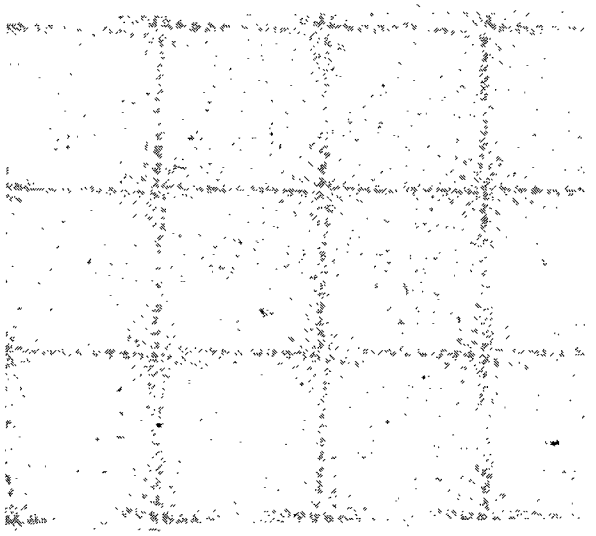

حضرت مولد الآداب .

وكنت اتابع نموها ويفاعتها ، مزودا بثقتي في رائدها سهيل ادريس ، على غير معرفة شخصية ، ولكني اخذت بحماسه وهو ينشىء مجلة شهرية للآداب في بداية عهد بيروت بانطلاقة جريئة لحركة النشر والتوزيع .

وقرات لسهيل بعض ما كتب وترجم في الآداب وبعض ما كتب ونشر من قصص ومجموعات ، فآمنت بأن الآداب ستنجح لان الذي يشرف عليها ليس ناشرا ، ولكنه اديب كاتب قبل ان يكون ناشرا .

تتبعت الآداب بعد ذلك واعترف باني لم اكن ملتزما معها التزامي مع « رسالة » الزيات مثلا . فقد كان عهد الطلب يغريني بقراءة « الرسالة » من افتتاحيتها حتى بريدها الادبي،ولكن عهد العمل لم يكن يسمح لي بقراءة الآداب قراءتي للرسالة . غير ان عددا منها لم يكن يمتنع علي فكنت آتخير من كتابها القدامى والجدد ، وكانت سيرتها تؤكد فكرتي عنها : التصميم . العزم . الحماس. التطلع . الجدة ..

في مقدمة ما لفت نظري حماس المجلة الى الجديد في القصة والشعر والبحث . فهي مجلة الطليعة المتجددة من الكتّاب ، لم تعتمد على النخبة المعروفة في لبنان او سوريا ،ولكنها حاولت استقطاب الكتاب الجدد في الوطن العربي . ويخيل الي ان الاسم الجديد كان يغري التحرير اكثر مما يغريه المضمون . ولذلك تلاحق الكتاب الجدد الذين واصلوا نضالهم مع الآداب حتى اصبحوا في الطليعة من كتاب القصة والقصيدة والمقالة .

وحاولت الآداب ان تكون للوطن العربي جميعه فكانت تنشر للادباء من الخليج الى المحيط . وبذلك كانت للكتّاب العرب او حاولت أن تكون . ولا اكتم ان الذين كتبوا فيها

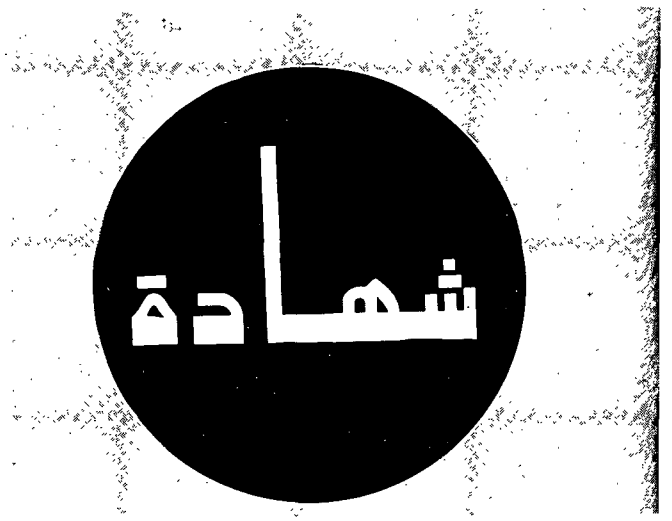

من المغرب العربي قلة . وهذا لا يرجع الى المجلة بالقدر الذي يعود الى هذا الحاجز الذي نحاول ان نحطمه بين مشرق الوطن العربي ومغربه . والذين اجتازوا الحاجز فكتبوا للآداب نشرت لهم بترحيب . ويبقى ان تجتاز هي الحاجز فتبحث عنهم في عقر دارهم . وقد حاولت بالفعل حينما خصصت ملفات خاصة بأدب المغرب العربي .

انطلاقة الآداب في الوطن العربي كانت سبيلا للتعارف بين ادباء العربية . وكثير من الذين كانوا يحضرون مؤتمرات الادباء العرب تعارفوا قبلها عن طريق الآداب .

وهذه من النقط الايجابية في نضال ربع قرن .

اهتمت الآداب بالقصة والشعر والمقالة النقدية . وبذلك تخصصت في الادب الابداعي . وابتعدت عن البحث التاريخي والبحث العلمي، ولم تهتم بالتراث العربي الا عندما يتطرق ناقد الى حركة النقد عند العرب مثلا . وقد يكون اقتصارها على الآداب الحديثة سببا في ضيق الآفاق امامها ، ولكنه اختيار يشير اليه عنوانها وتخصص المشرفين عليها . غير ان هذا الافق الضيق فسح المجال لكثير من الانتاج – يقل عن مستوى الهدف – تسرب إلى الآداب ، فكان يضعها احيانا في ارجوحة ترتفع بها بقدر ما تنزل ، وتنزل بقدر ما ترتفع ... ولكن ذلك ليس غريبا على مجلة عربية تصارع ضعف الحركة الادبية وانعدام اتجاهها في الوطن العربي ، كما تصارع التقلبات السياسية والمحن التي مرت بهذا الوطن طيلة ربع القرن الماضي . وكلها ظروف تطبع الحياة الادبية بالاهتزاز وانعدام الاستقرار ، بل وانعدام الايمان والثقة في جدوى الادب ، والتعبير بفن الكلمة عن المشاكل التي يعانيها الانسان العربي .

وكانت الآداب في طليعة المجلات العربية التي ناصرت الشعر الحر بفكرة مسبقة ودعوة صريحة . وبذلك اسهمت بحظ وافر في توجيه الشباب الى الشعر الجديد . وكانت – وما تزال منبرا له فنشرت الكثير منه . وبرز في صفحاتها شعراء اصبحت لهم مكانتهم الادبية بين رواد الشعر الحديث في دنيا العرب .

ولكنني الاحظ ان حماس الآداب ضد الشعر التقليدي كان اكثر مما تحتمله مسؤولية مجلة تتطلع الى نشر الجيد من المضمون ، مهما كان الشكل الذي يحتويه . وسيقول الاخ سهيل : ان للآداب رسالة . ومن رسالتها ان توصل الشعر المتحرر من الوزن والقافية ، ولو على حساب الجيد من الشعر التقليدي الشكل .. ومع ذلك فهناك شعر ، وهناك شعراء ما يزالون يمارسون الشكل القديم ، ومضامينهم شعر له وزنه الممتاز في الشعر العربي . وفي رأيي ان رسالة الآداب لا تضيق عن مسايرة التطور في الشعر التقليدي كما لم تضق عن مسايرة التطور في الشعر الجديد . وربما كان الكثير مما نشر من الشعر الجديد ليس فيه من الجدة الا تقليد الشكل . وهذا ما وقعت فيه كثير من المجلات والملاحق الادبية للصحف العربية .

ولعل السر في ذلك حماسها – حماس شباب – للجديد مهما كانت قيمته المضمونية والتعبيرية ، وحماسها – حماس شباب – ضد الشكل القديم ، مهما كانت قيمته المضمونية والتعبيرية .

حافظت الآداب على الخط العربي القومي في كل ما نشرته رغم وجودها في محيط تضاربت فيه التناقضات بشكل خطير . وقد اثار هذا الالتزام في وجهها كثيرا من المتاعب فكانت تصادر وتراقب في كثير من البلاد العربية . ورغم ذلك استمرت الآداب خمسا وعشرين سنة . وهذه شهادة يشهدها وجود الآداب ، وليست في حاجة الى مزيد .

ورحلت الآداب لتنجو من المحنة التي مر بها لبنان في السنتين الاخيرتين لتؤكد وجودها ، وها هي ذي تعود كقيمة من قيم لبنان التي اختفت او هاجرت اثناء المحنة لتعود من جديد بعد انكشاف الغمة .

اذا كنت اهنىء الآداب بعيدها الفضي واشد بحرارة على يدي الصديق سهيل ادريس والسيدة عائدة فلأني اعرف عن طريق الممارسة الدائمة ماذا يعني اصدار مجلة ادبية عربية بمجهود فردي طيلة خمس وعشرين سنة . انه مجهود فكري وجسماني ومادي كبير ، ولكنه في وطننا العربي اخطر من مجهود ، انه انتصار على الفشل الذي يتربص بمثل هذه المشاريع الفكرية والادبية .

وليس من السهل الانتصار على فشل تصنعه كل ظروف الحياة في الوطن العربي .

الرباط (المغرب)